١٩٤٧، «تنازلاً تاريخياً»، اعتبرته وقتياً، أدّى الى اقامة «دولة يهودية»، أي فيها أغلبية يهودية فقط؛ ولم يلبث هذا «التنازل» ان تحوّل الى ظاهرة معقّدة نتيجة عزوف اليهود عن الهجرة الى اسرائيل، وخطر تفاوت معدّلات النمو السكاني بين العرب واليهود داخل اسرائيل. ولعلّ الحمّى الصهيونية لجذب يهود الاتحاد السوفياتي وأوروبا الشرقية هي المهرب الاخير من مصير محتوم ينتظر الحركة الصهيونية.

ولن تقف تفاعلات وتداعيات عملية الاستيطان عند هذا الحدّ، بل لا بدّ وان يصاحبها، بالضرورة، عمليات طرد وابعاد واسعة النطاق للسكان العرب، وتفريغ الارض من سكانها، وتهديدات اسرائيلية بشنّ حرب جديدة، وقيام هذه الحرب فعلاً. ويضع كل ذلك المنطقة على أعتاب مواجهة عسكرية ستجرى في ظل سباق رهيب للتسلّح بين دول المنطقة؛ كما سوف يطلق العنان لموجات كاسحة من عمليات العنف والارهاب التي يصعب السيطرة عليها، أو التفرقة بين أهدافها المحتملة.

اسئلة مطروحة

هناك العديد من الاسئلة المطروحة على الساحة تختص بتقويم عملية تهجير اليهود السوفيات الى اسرائيل، وتوطينهم في الاراضي العربية المحتلة، من أهمها: هل تؤدي موجات الهجرة اليهودية الى اسرائيل، لتقوية الدولة اليهودية، الى تحقّق احلام المخطط الصهيوني في انشاء «اسرائيل الكبرى» على المدى الطويل؟ هل تؤدي موجات الهجرة اليهودية الى اسرائيل الى خلق مشاكل اجتماعية داخل الدولة اليهودية على المدى الطويل؟ هل تؤدي موجات الهجرة اليهودية الى اسرائيل الى تفكّك الدولة اليهودية على المدى الطويل، نتيجة لاستقطاب عناصر تكوينها (الاشكيناز ـ السفاراديم ـ موجات الهجرة اليهودية الجديدة ـ السكان العرب فيها) مع احتمال نشوب صراعات داخلية مسلّحة بين هذه العناصر على نفس نمط الحرب اللبنانية؟ اذا كانت موجات الهجرة اليهودية الى اسرائيل، التي يتمّ توطينها في الاراضي العربية المحتلة تعتبر خطراً على العرب، فهل اذا اقتصرت على اسرائيل تصبح خطراً على اسرائيل؟ هل المبالغة في استغلال هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل هي خطة صهيونية مقصود بها ان تكون اسرائيل في وضع تفاوضي أقوى للحصول، في المستقبل، على شروط أفضل خلال مفاوضات التسوية الاقليمية مع العرب؟

كل هذه الاسئلة منطقية. ومن المحتمل ان تكون صحيحة بنسب مختلفة. ولكن الشيء المؤكد هو ان المحصلة النهائية لعملية تهجير اليهود السوفيات الى اسرائيل، وتوطينهم في الاراضي العربية المحتلة، هي قنبلة زمنية قابلة للانفجار في أي وقت؛ كما انها تمثّل خطراً ماثلاً على الدول العربية، والامن القومي العربي. واذا استمرت عملية الهجرة بالمعدّل الحالي لها، فان تحقيق الصهيونية لهدف انشاء «اسرائيل الكبرى» هو قاب قوسين أو أدنى.

ان ما يجرى على الساحة، حالياً، هو بمثابة اعلان حرب (قد تكون مؤجلة) على الأمّة العربية، وغزوة جديدة تستهدف مساعدة اسرائيل على التوسّع الجغرافي على حساب العرب. فتهجير اليهود السوفيات الى اسرائيل، وتوطينهم في الاراضي المحتلة، هو غزو، بكل ما تعنيه الكلمة، بل وغزو صريح، وواضح، ولا مثيل له في تاريخ البشرية. فالغزو يحتل الارض، ويحكم الشعب ويستغله، ولكن هذا غزو هدفه تهجير شعب واقتلاعه من جذوره، واحلال شعب محل شعب بالقوة الغاشمة المطلقة.

وانتهى الامر في موضوع «حقوق الانسان» بوضع حقوق الانسان اليهودي في مرتبة مقدّسة، وحقوق الانسان الفلسطيني في مرتبة متدنّية. وبذا، فهو استخدام لحقوق الانسان كسلاح ضد حقوق الانسان، حقوق الانسان اليهودي ضد حقوق الانسان الفلسطيني، وهذا ما لم تميّزه